

## سرويات تاريخية

لييب ناصيف\*

منذ بدايات تأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي، لعبت المرأة دورا ناشطا افتتحته الرفيقة عفيفة حداد، ثم توالى على الانتماء عشرات الرفيقات، فمئات، فالآلاف. عرفن السجون والمالحقات والتشرد، وتولين المسؤوليات المركزية والمحلية، وقاتلن في المواقع العسكرية، ورافقن الحزب في مسيرته، وتحملن الصعاب والكفر والعداب. ومثل الرفيق، كن استشهديات يقدمن حياتهن فداء للحزب وللامة، ولا يعرفن ترددا ولا وجلا. عن المرأة القومية الاجتماعية يمكن ان تكتب مجلدات، عسانا نفعل أو يفعل أي رفيق ينصرف بوجوده وعقله الى تاريخ حزب عظيم، من حقه على أعضائه أن يوثقوا، وحوادثه وسير شهدائه ومناضليه، وكل مواقف العز التي توجت تاريخه الصراعي الطويل.

هنا إضاءة وفاء وتقدير، لكل أم قومية اجتماعية أضاءت شمعة نضال في درب الصراع، لكل أمية ورفيقة صمدت وواجهت وقاتلت وبقيت على إيمانها، لكل شهيدة ارتفعت إلى الخلود حيث سعاده، لكل رفيقة سجنحت وتعرضت للكثير وتحملت، وبقيت طودا من شموخ وإباء.

### أول امرأة قومية اجتماعية

تستحق الرفيقة عفيفة جرجس حداد أن تعتبر أول امرأة قومية اجتماعية فهي أول من تعرفت إلى وجود الحزب وكانت مراافقة للخطوات الأولى التي بدأ يقوم بها سعاده. قبل أن تؤدي قسم الانتماء كان سعاده يهدد إليها بحراسة مكان الاجتماع في منزل والدتها<sup>(1)</sup> حتى إذا انتمت، راح سعاده يكلفها بتسجيل بعض وقائع الاجتماعات.

كانت تعتبر نفسها معنية بسعاده عندما تعرض للاعتقال بعد اكتشاف أمر الحزب، فكانت تقوم بنقل الطعام إليه، والنياب، وتؤمن ما يحتاج إليه. من جهته كان سعاده يمرر بواسطتها أوامر مكتوبة بشكل خفي إذ كان يسمح لها بمقابلة الزعيم. ولها سلم سعاده مرسومه بتعيين الرفيق زكريا لباييدي وكيلا لعميد الداخلية.

إلى عفاق الأمين عبدالله قبرصي<sup>(2)</sup> «كانت، في السجن الأول، تحمل الزاد الذي حبس الرمل سنة 1935 من دون أن تنهار أعضائها أو تتراجع. يكفي أنها نفذت بدقة استدعي الإعجاب موجبات القسم والزاماته، فما عصت أورا ولا فضحت سرا ولا تخلت عن رفيق في حاجة تستطيع سداه».

### مواطنات تصرفن مثل رفيقات

إذا كان تاريخ الحزب حافلًا بألآف المواطنات اللواتي قدمن خدمات جلى للحزب، معنوية وأومادية، من أمهات وزوجات وشقيقات لأبناء في الحزب، ولعناضليه من الرفقاء، بحيث نرى واجبا، وفاءً لهم، أن نتكهن، أو نرفقاء آخرون، من تسجيل هذا الكم الهائل من الممارسات لما فيها من مواقف رائعة ومن خدمات حقيقية لمسيرة الحزب، إلا أنه من المفيد أن نشير بتقدير إلى الدور الذي قامت به السيدة كلودا ثابت<sup>(3)</sup> منذ سنوات

التاسيس الأولى إلى أن طرد شقيقها نعمة عام 1947، وإلى أمهات الرفقاء نعمة ثابت، كامل ورفيق أبو كامل، جبران جريج، يوسف النديس، فخري ورشدي وحلمي وفوزي وكمال وفايزة معلوف، مسعد حجر، وفكتور أسعد.

تعرفت كلودا ثابت إلى الحزب في مرحلة التأسيس الأولى وأوثقت على سر وجود الحزب وحافظت عليه، وكانت بحكم حوصد اللقائات والاجتماعات في منزل العائلة، تتعرف إلى ما يحصل، خاصة أن اجتماع الأول من حزيران عام 1935 - الذي فيه ألقى سعاده خطابه المناهجي الأول - عقد في «قصر» آل ثابت في الجبيري.

في الجزء الأول من «عبدالله قبرصي يتذكر» (ص 182) يقول الأمين قبرصي عن كلودا ثابت: «أما كلودا ثابت وهي عنوان الأناقة والبرصانة فجمعت في جملها الساحر بين المسحة الأروبية والطابع السوري. تخالها إذا شئت قائمة من العائلة المالكة في لندن، ويمكن أن تشبهها في الوقت ذاته بعيدا تمتطي صهوة جواد قادمة من الصحراء. كلودا ثابت كانت ذات ثقافة عالية، تتكلم الإنكليزية كالإنكليزي وتطلق بالعربية كاتحسب ما ينطق بها أبناء الشرف. من دون أن تقسم يمين الانتماء وقد أتت من الخدمات ما عجز عنه شقيقها نعمة نعمته، فكم من الاتصالات والمقالات والقسمات، الناجحة جرت بمبادرة منها وبمساعياها والخطط التي كانت ترسم».

ومن المواطنات اللواتي كان سعاده يثق بهن ويكفهن بهمات، وتقديرًا لهن ولإخلاصهن كان يناديهن بـ «رفيقات»، يذكر المواطنات تقلا، وجميلة وكوكب عازار، وشقيقات الرفيق الشهيد جميل عازار، وكن مطلعات على الحزب في فترة العمل السري، واستمررن مخلصات للحزب وحافظن على بيتهن في الإشرافية بعدما سقط شقيقهن الرفيق جميل شهيداً، فمفتاحا للقيوميين الاجتماعيين وللمناسبات الحزبية.

وعن والدة الرفقاء، من المفيد أن نشير إلى أن والدة الرفيقتين كامل ورفيق أبو كامل تعرضت للاعتقال على يد قوة من الدرر كانت داهمت منزلها في عالية بحثًا عن سعاده، التي كان قد غادره إلى دمشق في سيارة الرفيقة ودا ناصيف - إنما اعتقل عند حاجز الدرر في بلدة الميرجات في 9 آذار 1937 - واعتقلت الشقيقتين الرفيقتين رفيق وحليل<sup>(4)</sup> واعتقلت والدتهما، ما آثار

## البناء

## دور المرأة القومية الاجتماعية في بدايات التأسيس

1/2

إثر اكتشاف أمر الحزب، كان للرفيقات دور مهم في تأمين المال لمساعدة الحزبي، في تلك الفترة الصعبة تشكلت من الرفيقات لجنة مالية ضمت الكثيرات، نذكر منهن حربة شمنق أرسلان، شقيقتها سميحة، جمال ناصيف، أميرة تيماني، نعم فاخوري، سلوى بردان، أسماء سلام وتولت الرفيقة ناصيف رئاستها.

مثل بيروت وطرابلس، انتمت رفيقات في الكورة إلى الحزب في سنوات العمل السري، إلى الرفيقة عفيفة شماس التي كانت انتمت في بيروت، فإن رفيقات عديدات عرفن الحزب، منهن بدراسلوم، حنة سابا ملكي، جنيفاف سعاده وبلقيس الأيوبي. من أعمالهن، تصرف جريء جدير بأن يروى:

في تموز 1936 قررت القيادة الحزبية خارج السجن، وبناء لتوجيهات من سعاده، قيام الرفقاء في مناطق عديدة في لبنان بالتظاهر دعما لوقوف سعاده في أسرد الثاني، وكانت الأوامر تقضي بالتظاهر أمام السرايات المحلية أو مخافر الدرر وتبليغ السلطان أنه: «لما كنتم قد اعقلتمت زعيم الحزب من أجل عقيدته ولما كنا نحن أيضا ندين بنفس العقيدة، لذلك جئنا طالبين اعتقالاتنا إلى أن يفرج عن الزعيم من السجن».

جرت اعتقالات في الكثير من المناطق، ومنها الكورة التي كان الأمين جبران جريج يتولى مسؤولية منفذ عام فيها، فشكل وفدا نسائيا قام بزيارة تقديعية للمعتقلين في سراي أميون وللقائقام احتجاجا على توقيف الرفقاء وطلبا للإفراج عنهم. تالف الوفد من الرفيقات المذكورات آنفا ومن في سعاده (الدكتورة - عقيلة الأمين عبدالله سعاده)، وبرئاسة الرفيقتين بلقيس الأيوبي. قد تبدو هذه الواقعة اليوم، من الأمور العادية، إنما إن تحصل عام 1936، وأن يضم الوفد نساء ليس لهي صلة قرى مع الرفقاء الموقوفين وعلى رأس الوفد رفيقة من طائفة غير طائفتهم، فهذا دليل على فعل العقيدة القومية الاجتماعية في نفوس أنبئائنا، وفي المجتمع السوري بأسره.

لناحفا، وعندما قام سعاده بزيارته إلى طرابلس - الكورة في تموز العام 1937 - واعتبرت من أيام الحزب التاريخية - عمد إلى زيارة الرفيقة بلقيس الأيوبي في منزلها في بلدة عفسديق، تقديرا لها، وللبيت القومي الاجتماعي الذي منه منفذ عام بيروت الرفيق أسعد الأيوبي ومدير مديرية بتريوت الرفيق صلاح الدين. قبل ذلك كان سعاده قد تناول العشاء في منزل الرفيقة نجلا معنوق حداد في طرابلس.

إلا أن الدور الذي قامت به الرفيقة ودا ناصيف في الثلاثينات يعتبر بارزا، فعنها يقول الأمين عبدالله قبرصي في الجزء الأول من مذكراته، ص 184: «بعد خروج سعاده من السجن سنة 1936 تعرف بواسطة نعمة ثابت إلى السيدة ودا ناصيف وكان بيتها في محلة الصناع قد بات مركزا سريا لتلجأ إليها لعقد الاجتماعات السياسية واللقيات الإذاعية» في دارها اجتماعنا بالاستاذ حميد فرجحية وصلاح لبكي وجورج حكيم وتداولنا في إنشاء المجلس الأعلى وصلاحياته، ومن منزلها انطلقت مع عبد الحكيم مراد - المحامي الذي كان عميدا للإذاعة في فترة من الفترات - لمقابلة السيد كيفر. تلك المقابلة التي ذكرها سعاده في إحدى مقالاته في «الزويعة» - الأرحنيتين»، ويضيف: «تحدثت السيدة ودا، وكانت طريحة الفرائش أكثر الأوقات - إزعاجات جواسيس السلطة حتى مغادرة سعاده الوطن عام 1938».

من المعروف أن سعاده عاود بيروت في 11 حزيران 1938 في سيارة الرفيقة ودا ناصيف ويقودها سائقها، وكان بصحبته جورج عبد المسيح. في بلدة الميرجات أوقف حاجز لدرر السيارة، إلا أن سعاده وجورج عبد المسيح تمكنوا من الهبوط لهوس دون توقيع الحزب، لكن بقي المرسوم دون تبليغ<sup>(7)</sup>، بقي الرفيق بحوزة شقيقة الرفيق جميل عازار، وقد بقيت محتفظة به تذكرى مدة طويلة من الزمن».

في الاعتقال الأول الذي تعرض له سعاده ومعانوته، والعديد من الرفقاء

### \* رئيس لجنة تاريخ الحزب

- جرجس حداد: صاحب المطعم في شارع بلس، تجاه الجامعة الأميركية، حيث كان يتردد إليه سعاده، والمنزل في شارع جان دارك الذي استأجر فيه سعاده غرفة قبل أن ينتقل لاحقا إلى المنزل الذي اصطلح الرفقاء على تسميته بالكوخ، والد الرفقاء فؤاد، يوسف وعفيفة.
- الجزء الأول من «عبدالله قبرصي يتذكر» الصفحة 182.
- شقيقة نعمة وفلادو ثابت، اقترنت بالنائب شفيق ناصيف (من رأس بيروت).
- لم يعقل الرفيق كامل أبو كامل لأن سعاده كان كلفه بنقل بعض الأوراق كي لا تقع في أيدي السلطات في حال دهم المنزل بشكل مفاجئ.
- الجزء الأول (ص 282)، وقد منحها سعاده رتبة «الأمانة»، سنخصص لاحقا نبذة عن سيرتها.
- جورى تتناؤها، والرفيقة جمال ناصيف في منزل الرفيق جميل شكر الله في منطقة طلعة جنبلاط، رأس بيروت، رافقتها ميلدا موديرة، وفيما أسست الرفيقة عفيفة، تراجعت ميلدا في آخر لحظة.
- كانت تعمل قابلة قانونية. انتمت بواسطة طالب الحقوق آنذاك، الرفيق مصطفى ذوق.
- منحت رتبة الأمانة، سجنحت وتولت مسؤوليات وبقيت مناضلة، مؤمنة بالحزب، حتى آخر لحظة في حياتها. غادرت إلى تورنتو (كندا)، وفيها وافقها المنية. مع أن زوجها - من آل حداد - لم يكن رفيقا، إلا أنه لم يكن يباع من أن تزاول نشاطها الحزبي، وفي أن يكون منزلها مفتوحا للرفقاء وللعمل الحزبي.
- من بلدة راشيا الفخار. اقترنت من مواطن من آل سرتان، من طرابلس.
- من الرفيقات المناضلات، اقترنت لفترة قصيرة من الرفيق جورج عبد المسيح، أدبية ولها مقالات كانت تنشرها في صحف الحزب.
- الأمين جبران جريج «من الجعبة» - الجزء الأول، ص 285.
- المصدر السابق، ص 294.
- شقيقة الأمين بشير فاخوري.
- والدة القيادي في تنظيم المرابطون المحامي سنان براج.
- من حمص، وشقيقة الرفقاء محمد، أحمد وسميحة شمنق، اقترنت من صديق الحزب، وسعاده، «الأمير» محمد أمين أرسلان، توفت باكرا.
- انتمى إليها فليلين من علمها، ووفقا بالتقائما في أحد الاجتماعات الحزبية (ترجع أنه اجتمع الأول من حزيران 1935) فعرف كل منهما بانتماء الآخر.
- لا يوضح الأمين جبران جريج سببا لعدم تبليغ المرسوم، إنما يتكفي بالإشارة إلى أنه بقي بحوزة شقيقة الرفيق جميل عازار.



الرفيقة فايزة معلوف - أول منفذ عام للسيدات



الامينة نجلا معنوق



الامينة الاولى



الرفيقة عفيفة حداد



الامينة جمال ناصيف

خوفاً من أن يفشي أمر الحزب وهو تحت تأثير البنج.

في الاجتماع الأول الذي عقد للرفقاء في أول حزيران 1935 لم تكن الرفيقات غائبات عنه. بعد انتهاء الجانب الرسمي فخورته بهم ويجزئهم وبزعميمهم. شكر حضرة الأمين ربيع الدين الذي زوّدنا المعلومات التالية عن جدته: «اسمها (تسيبنا) مشتق من اليونانية thespian، وهي من مواليد دير الغزال 1881، وتوفت عام 1981، أي أنها اكملت مئة عام من العمر. كانت تسيبنا بالنسبة

### أول مديرة للسيدات

أما في بيروت، فإن من أولى الرفيقات نذكر: أسماء سلام، أميرة تيماني، نعم شمنق<sup>(13)</sup>، سلوى بردان<sup>(14)</sup>، حربة شمنق<sup>(15)</sup> وشقيقتها سميحة، سلوى بستانى، أدال باسيل كلاب<sup>(16)</sup>، أنجال عبد المسيح (شقيقة الرفيق جورج عبد

ومن أسماء الرفيقات يورد الأمين جبران في الصفحة 441 - الجزء الثالث - من مجلده «من الجعبة»، «الرفيقات - من دون أي تفسير آخر- قبل ذلك، انجأ من دون أن يفسر أسعد، فيقول (الجزء الثاني ص 184) يورد اسم الرفيق عبد الغني انجا من بين الرفقاء الذين شغلوا في فترة الأسر الأول الذي تعرض له سعاده وهو تابع لمديرية رأس بيروت، واسم الرفيقة أمينة (أو جاسق) العيتاني، مصيفا أنها كانت «أخت الرجال» وتابعة لمديرية ساقية الجبزيير.

بعدا تولت الانتماءات، كان لا بد من إنشاء فرع حزبي، فتم إنشاء مديرية للسيدات وتولت مسؤولية المديرية الامينة جمال ناصيف.

نورد للمناسبة عن جريدة «النضهة» (العدد 107 تاريخ 1938/03/04) الخبر عن نشاط قامت به مديرية السيدات، مع كلمة حضرة الزعيم: أقامت مديرية السيدات في منفذية بيروت للحزب السوري القومي، مساء الأربعاء، حفلة ليلية على شرف الزعيم تجلت فيها إمكانيات المرأة السورية في العمل القومي والمساهمة في إحياء النهضة القومية، والمشاركة في الجهاد لانتصارها.

وقد كانت هذه الحفلة، من الحفلات القومية النادرة، التي كان لها معنى خاص، لأنها عطلت ليليا وأيقوا على حيوية المرأة السورية وجدارتها بحمل أعباء المسؤوليات المترتبة عليها تجاه الأمة.

ويعد أن قام الجميع إلى مادية طريفة حوت ما لذ وطاب من المأكّل، ألفت عفيفة حداد كلمة قيّمة عن مولد الزعيم الذي كان مولد البطل السوري الأول الذي أهدى المرأة السورية صفحا في الحياة، وأدرك أهمية المرأة في المساهمة مع الرجل بإنشاء الامانة السورية الجديدة، قوبلت بالانتماء.

ثم تكلم غيرها من القوميات بهذا الموضوع فكان لكلامهن أثر جميل. وبعدهنّ قدم الاستاذ جورج عبد المسيح إلى الزعيم، بالنيابة عن أحد الجنود القوميين (هو الأمير أمين أرسلان) سيفا تاريخيا جيلا مشفوعا بكلمة رائعة. وكان هذا المظهر الحيوي المبهيب، قد أثر في قلب الزعيم، ففاضت عيناها بدميق من القوة والبريق وارتجتل كلمة رائعة استطعن أن نلتقط منها الفقرة التالية:

### كلمة الزعيم

ليس العمل القومي وقتا في الرجال. لن يكون العمل قوميا حتى تشترك فيه المرأة وتكون عضوا عاما فيه. وإنني عندما فكرت بإمكانات رجال سورية، فكرت أيضا بإمكانات المرأة السورية، التي كانت، في أدوار تاريخنا الخاص، عمالاً اساسيا في تقدمنا ورفينا، وفي تلك المدينة التي وزعناها على العالم. قد يعجز الرجل ان يدرك بعقله ما تستطيع المرأة ان تدرکه بقلبيها. وكما يجب على الرجل ان يعمل في سبيل امتنا، كذلك نريد من المرأة ان تكون عضواً عاملاً في مجتمعنا. نحن في حاجة

## ثقافة

### شخصيات حزبية

### من برمانا إلى كسب

### يبقى القبح قبحاً والجمال جمالاً

#### ■ جورج كرم\*

قد لا تختلف الحياة اليومية في القرى الصغيرة بعضها عن البيض الآخر في العالم كله، والعالم المشترك الوحيد الذي يجعل من القرية قرية ويميزها عن المدينة هو بعدها الجغرافي عن التجمعات البشرية الكبرى وما لذلك من تأثير في توافر السلع والمعلومات والاحتكاك بالثقافة العالمية في نواحيها المختلفة، المكتوبة والاستعراضية مثلاً. هذا لو استثنينا بالطبع عصر الإنترنت، فالعالم أطاح بفضل الإنترنت عزلة المجتمعات القروية إلى غير رجعة وأنهى مفهوم الحياة فيها وفق ما كنا نعرفها. وتكاد لا تخلو قرية في العالم من خطوط الإنترنت ذات السرعة الفائقة إلى حدٍّ أن لا سبيل إلى اختلاء المرء بنفسه وحيدا أو ضمن فعالية في أي زاوية من العالم، حتى لو كان في رحلة صيد الخنزير البري مثلاً في بقعة «ناثية» تبعد مسافة سفر خمس أو ست ساعات بالسيارة خارج المدينة، فالدليل منظم رحلة الصيد «بيت» ضمن خدمات للمشركين في الرحلة من هاتفه المحمول مأسى أخبار البورصة والجرائم المروعة والطائرات المدنية المختفية عن الرادار والضائعة في المحيط، مثلما يتعقب الطراند المتوحشة في الشاحنة العملاقة المسماة «مونتسير تراك» في البراري والمستنقعات.

وبينما كنا في الزمان الغابر ننظر في القرية الأخبار لتأتينا «على ذوق» عرفات حجازي وجاك واكيم وجان خوري، بحسب نكبة العهد الذي كان يتملق المنيع له مرة في اليوم، الساعة السادسة على القناة «سبعة» التلفزيونية، ها هي الأخبار اليوم تلتحق بنا وتطارنا في المستنقعات البعيدة، ومنها ما هو أشد هولاً من خنزير بري مجنون جريح مبرزاً أنيابها. وعلى سبيل المثال أخبار «سياسة القتل» لمجاهدي «سعود لا زغلو» في سورية الحبيبة والفيديو الذي تم تناقله على شبكات التواصل الاجتماعي حديثاً لروحش على شكل بشر يطلقون النار على أسرى مكبلين من حصة الديار.

فيما أضاهى نهر المعلومات «المعلوماتية» المتدفق علينا نوعاً من «العرق» المحبب إلينا، ولكل منا اهتماماته، وكلها موجودة على أطراف أصابعنا ولوحة المفاتيح «الكييبورد»، لا بد من العودة للصنّين من وقت إلى آخر إلى حياة القرية الضائعة بين أشجار الصنوبر أيام الصفر. ولو يذكرنا هذا حنيناً إلى أيام الصبا لا أكثر، لكن أخبار القرية بطورها ومنها تحتل حيناً نادفاً في الذكراة البجا إليه كلما ازداد صخب العالم وجنون العصر. والقرية التي نشأت فيها مصيف جميل ويتميز أهلها بروح دعابة لا مثيل لها، وكنا ننظر قدوم فصل الصيف بالأيام والساعات لنتشارك بفعالية بالمتعة. ولم يزل ذلك كثيراً حتى انقلب الناس إلى الأولى مع ظرافتهم لحصلنا على مجلد أخبار تضاهي أفلام تشارلي تشابلن ونورمن ويزبوم مجتمع في فكاهتها، ومنها أنه في إحدى الليالي القروية الطويلة قرر أهل القرية إقامة «ملك البشاعة» على ملك قبوع المظهر ورشحوها حنة من الرجال وصل اثتان منهم إلى التصفيات النهائية ولا أذكر من منهما حاز لقب «ملك البشاعة»، يوماك، لكنني أذكر جيداً أن كليهما، بفعل مصادفة ما جمعت بين قبوع المظهر وقبح الروح، أضحيا من مسؤولي الأحزاب الانتزالية خلال الحرب اللبنانية. والمظهر لا يتناغم مع الروح في الحالات كلها، ولا الأخيرة قد تقلب نظرة الناس إلى الأولى رأساً على عقب، وأفضل مثل على ذلك الممثلة الرائعة الجمال سابقا سكارلت جوهانسون والتي معجبا بمظهرها الخارجي وأدائها، خاصة أنها من القليلات اللواتي يتمتعن بوزن طبيعي في مدينتها. ويطال الأمر بعد ذلك كثيراً لتتصدر الصحف أخباراً زائفة، وفي موضوع النزاية ومعسكراتهم تبين لي حديثاً في مقال قرأته أن سكارلت من «أجل ممثلات هوليوود من اليهود» ولم يؤثر علمي بدين الممثلة على إعجابي بها، خاصة أن لكل منا حقاً في اعتناق الديانة التي تروق له، ونحن نرت الديانات من آباؤنا رغم إرادتنا. أما بطل الأمر بعد ذلك كثيراً لتتصدر الصحف أخباراً مفادها أن سكارلت جوهانسون تقوم بالعداية لشركة صهيونية أقيمت على أرض جنوبينا السوري المحتل، فتقول لحظتناك ذك الجمال كله التي اغدقت على الممثلة خلال أعوام إلى قبح لا مثيل له في نظري، وهو أمر يستحيل عكسه، فمن يدعم الصهيونية مرة يدخل اسمه أو اسمها مجلد القبح بجبر لا يصحوه الزمان. ومن قبحاء زماننا من داعمي الصهيونة أحمد الجربا «السوري» بلهجة سعودية ويمشيل كلبو ونزاعته «بالعاشية» وكل «مفكر» و«متفقد» دعم الهجمة الكونية الاستعمارية على سوريا، وأخص بالذكر المثقنين الذين وقعوا عريضة في بداية الحوادث في سورية تحت عنوان «متفقون لبنانيون مع الشعب السوري» القوا فيها باللائمة على الدولة السورية في ما يحصل من حوادث هناك، وأنكرو وجود العصابات المسلحة، مؤفرين بذلك وقوداً لهجمة الاستعمار عليها، وفي سياق الأزمة السورية تطول لائحة العمالة التي أضحت اليوم تضم عشرات آلاف الأسماء التي تستغل في القبح والعار ومنهم بسمه القضماني التي كانت تضي فصل الصيف في قربتنا سنوياً، وكنا لأسباب هورمونية على ما يبدو لي اليوم «مستغفون بجمالها» وأراها اليوم تجمع كل بشاعة الصهيونية والاستعمار في شكلها وروحها في آن واحد.

علما أن ميزة الحياة القروية المنقرضة كانت تجمع بين قرى العالم كله النائية، فما الحال لو حصرنا المقارنة بقرى سورية الجبلية وحدها، لوجدنا عندئذٍ أن الحياة القروية في ربوع سورية الجبلية مطابقة إلى حد بعيد. والبعد عن المدينة الذي يجعل من القرية قرية لا يقاس بالأمطار والكيلومترات في الحالات كلها، فالكيلومترات السبعة عشر القليلة التي تفصل بين قرية برمانا وبيروت مثلاً لم يكن سهلاً طويها على الطرقات المتعرجة الجبلية، مع ما يرافق ذلك من انسداد وفتح الأذنين كل بضغ دقائق بسبب اختلاف الضغط الجوي خلال الرحلة والدوخة والغثيان في السيارة بسبب المنعطفات القاسية وهمازان السيارة في المطبات ورائحة المازوت والبزوين، هذا إذا لم ترتفع حرارة المحرك في طريق العودة والسيارة «تتندلوع»، ما يضيف إلى الرحلة ساعة من الشقاء والحرق أو البرد الذي انتظار أن يبرد المحرك لتكمل السيارة رحلتها. ما تكون القرى النائية متباعدة جغرافياً، لكنها تنتمي إلى جسم قومي واحد اسمه سورية، وقربتي الجميلة بألم «ضبيعة ضائعة» أخرى لها أخت اسمها كسب، على حدود لواء الإسكندرون الاستعماري المحتل، رائعة الجمال مثل قربتي المثلث إليها أقدام «قروغان» القبيح محاولة النيل من جمالها السوري الأمي، ولن تتراح قريتي وقرى سورية كلها قبل أن ترحل آخر قدم قيحية عن كسب وعن التراب السوري كله.

#### \* كاتب سوري من جبل لبنان، موقعه على الإنترنت

www.gkaram.com